أهمية النقد الأدبي في عمل الكاتب والأديب

الأستاذ حازم محمود إسماعيل

رئيس قسم اللغة الانكليزية /كلية التراث الجامعة

المستخلص

تعنى هذه الورقة بإلقاء الضوء على بعض الملاحظات المهمة المتعلقة بالأدب والنقد الأدبي التي قد تكون خافية على بعض القراء والدارسين و خاصة طلاب أقسام اللغة الانكليزية في سائر الكليات والجامعات العراقية. كما تتطرق الورقة إلى تعريف الأدب وتعريف النقد الأدبي و نظريات مدارس النقد الأدبي ونظريات الفلاسفة والكتاب في مختلف العصور والحضارات وبالأخص الفلاسفة اليونانيون مثل سقراط الحكيم وتلميذه أفلاطون وتلميذ تلميذه اوروسطو ونظرياتهم المتصارعة.

وتختتم الورقة بالاستنتاجات المهمة التي خلصت إليها الورقة في مجال موضوعها الأدب والنقد الأدبي .

Abstract

This paper deals with some vital notes concerning literature and literary criticism which the readers, especially university students wish to know.

The paper discusses definitions of literature and literary criticism. It also sheds light on the theories of schools of criticism and the conflicting theories of Greek philosophers such as Socrates, Plato, and Aristotle.

The papers ends up with a conclusion which sums up its findings.

تقديم

في بداية عملي كتدريسي في الكليات الرسمية والأهلية واخص بالذكر كلية التراث الجامعة الأهلية لم يعهد إلي تدريس مادة النقد الأدبي باللغة الانكليزية لطلاب المرحلة الرابعة بل تطوعت لتدريسها لأني اشتقت إن ذاك إن أعرف ما كتبه الكتاب العرب والانكليز في هذا الموضوع المهم . ومن خلال ما قرأته في هذا المجال حصلت على فوائد عديدة أعانتني في حياتي الشخصية كانسان في البيت والشارع وفي عملي كتدريسي في

الجامعة لأن الأدب كما هو معروف مرآة الحياة تعكس لنا الحياة أو جانبا من الحياة لكي نطلع على الحقيقة كما هي . وهكذا بقيت ادرس هذه المادة الحيوية لمدة تزيد على ثلاثين سنة لحد هذا اليوم دون انقطاع.

المقدمة

النقد الأدبي موضوع دقيق طرقه عدد محدود من كبار الكتاب والأدباء المعاصرين العرب والأجانب واخص بالذكر الكاتب D.J. Enright مؤلف كتاب

English Critical Texts, 1972 وغيره من الأدباء الغربيين وكذلك الأستاذ الكبير احمد أمين مؤلف كتاب النقد الأدبي باللغة العربية عام 1952، ولا ريب في إن الأستاذ احمد أمين كان أدقهم في التعبير عن معاني النقد الأدبي وتأريخه ومفاهيمه وأهدافه واشملهم في شرح قواعده وأصوله في مختلف العصور.

ويمكن القول بان وظيفة النقد الأدبي هي تقويم العمل الأدبي وبيان قيمته الموضوعية وتحديد مكانه وما أداه للغة العربية أو ا لانكليزية أو غيرها من اللغات العالمية الأخرى.

والنقد الأدبي ثمرة الأدب ذاته والأدب ثمرة طبيعية للبيئة والأديب وهذا يذكرنا بمقولة الشاعر الكبير ماثيو ارنولد حين قال:

المجتمع المثقف ينتج أدبا راقيا والأدب الراقي يخلق مواطنين يشعرون بالمسؤولية تجاه وطنهم

The outcome of a cultured society is serious literature and the outcome of serious literature is responsible citizens.

النقد الأدبي:

إن مصطلح " النقد الأدبي" يتألف من كلمتين الأولى " نقد " criticism وهي عادة تستعل بمعنى تقويم الشيء والحكم عليه بالجيد أوالسيئ والنقد بمعنى أوسع هو عبارة عن استعراض للقطع والنصوص الأدبية لمعرفة محاسنها ومساوئها ولا يقتصر النقد على إظهار جانبا واحدا دون الآخر, ولذلك يلاحظ أن هناك دائما عداء بين النقاد والأدباء وفي الغالب ينتصر الأديب على الناقد , ويعتقد البعض أن الناقد يميل إلى مهاجمة الابتكار الذي يدعو إليه الأديب لان الأديب متحرر من القيود ما أمكن ويسير حسب ذوقه ما ا مكن والنقاد يتبعون غالبا قواعد متجمدة غير مرنة يريدون أن يطبقوها ولا يخرجوا عنها تبعا لمذاهبهم أو مدارسهم النقدية التي ينتمون إليها,

والكلمة الثانية هي "الأدبي " literary نسبة إلى الأدب literature وللأدب تعاريف عديدة أهمها ما يلي:

Literature is an interpretation of life

ومعناه "الأدب يصور لنا الحياة أو جانبا من الحياة بعبارات جميلة "

وللأدب أشكال عديدة أهمها الشعر كالقصائد والأغاني والملاحم الشعرية ، والنثر كالرواية والقصص القصيرة ، والمسرحية بأشكالها المتعددة.

مؤسسو ا لنقد الأدبي في الحضارة الآغريقية:

لا يزال العالم ينظر اليوم - كما كان ينظر دائما - إلى أمة اليونان بعين الآكبار. ولا يزال يشعر بأن في عنق الإنسانية دينا كبيرا لهذه الآمة العريقة التي ازدهرت فيها الحضارة قبل ميلاد المسيح بمئات ا لسنين ويرى أن كثيرا مما استطاعت الإنسانية إن تصل اليه في زماننا من معجزات الحضارة ومظاهر التقدم في التفكير السياسي والعلمي والفني ليس سوى امتداد لما بدأه اليونانيون.

أما الأدب اليوناني فقد حظي عند سائر الأمم التي وقفت عليه بما لم يحظ به أدب ما ، الاداب الإنسانية ، ولا تستثنى من ذلك الآداب المعاصرة ، وأقبل عليه الشعراء والخطباء ، وكتاب القصص والمسرحيات بالقراءة والدرس ، ومحاولة التعرف على نواحي الإبداع فيه والعوامل المؤثرة في تأليفه والأسرار التي أدت إلى تقدير الإنسانية له وموالاة الاهتمام به.

أن مؤسسي النقد الأدبي في أمة ا ليونان هم في ا لحقيقة ثلاثة أولهم سقراط ا لحكيم وتلميذه أفلاطون وتلميذ تلميذه اوروسطو. وسوف نأتي على اجتهادات كل واحد منهم في سياق هذه الورقة.

مؤسس النقد الأدبي في العصر الحديث:

لاشك إن مؤرخي النقد الأدبي الانجليزي الحديث يذكرون كتابات ا لناقد الشهير آي أي ريجاردز I.A. Richarads الذي كان يعمل وقتا ما أستاذا في جامعة كيمبرج فهو من أقطاب النقد الأدبي الانجليزي المعاصر ولا يكاد يخلو كتاب في النقد من الإشارة إليه هذا الناقد الكبير بل هناك من الكتاب من يذهبون إلى حد القول بان ريجاردز هو مؤسس النقد الأدبي الحديث . وقد يجد البعض شيئا من ا لمبالغة في هذا القول ولكن الشيء الذي لا ريب فيه هو ا ن العارفين سيجمعون على إن ريجاردز يتمتع بمكانة كبرى في ميدان ا لنقد الأدبي وان أثره كان شاملا و عميقا في جميع المشتغلين بالنقد الآن سواء في انجلترا أو في امريكا ا و حتى في بعض ا لبلدان العربية .

مدارس النقد الأدبي: Schools of literary criticism وأحيانا يطلق عليها:

Literary approaches

هناك عدد من المدارس النقدية التي عادة ما ينتمي إليها الكتاب و النقاد وأهمها :

The Formalistic School of Criticism

The Moralistic School of Criticism

The Sociological School of Criticism

The Psychological School of Criticism

1- المدرسة الشكلية The Formalistic School of criticism

تعنى هذه المدرسة بشكل النص الأدبي form وليس المضمون content أي أن الناقد يحكم على النص الأدبي كنص من حيث قوة اللغة وجماليتها والصور والرموز المستخدمة فيه بينما يكون نصيب المضمون الإهمال. إن عدم تطرق الناقد إلى الحكم و الدروس والعبر التي ينبغي أن يتضمنها النص هو نقطة ضعف كبيرة تحسب ضد هذه المدرسة . وللآسف نجد إن معظم الكتاب في يومنا هذا يميلون إلى كتابة القصص و الأدبيات التي تتصف بجمالية اللغة والعبارات البراقة التي تلهب مشاعر القارئ من أجل إن يضمن الكاتب رواج انتاجاته.

2- المدرسة الأخلاقية The Moralistic School of Criticism

تعنى هذه المدرسة بعنصرين مهمين من عناصر الأدب الا وهما الشكل form والمضمون content وتهتم بهما اهتماما بالغا ولا تركز على احدهما دون الآخر كما هو الحال في المدرسة الشكلية آنفة الذكر. كما وتهتم هذه المدرسة بالحكم والعبر والدروس الأخلاقية التي يتناولها الكاتب في كتابه الأدبي.

كما ويجب إن لا ننسى إن وظيفة الأدب بأشكاله المتعددة هي تعليم القارئ ما قد خفي عنه من معلومات مهمة وكذلك تسليته في نفس الوقت أي إن الأدب يعلمنا ويمتعنا

Literature teaches us and pleases us.

يعلمنا ما قد يفيدنا في حياتنا من خلال الحكم والدروس الأخلاقية التي يتضمنها مضمون العمل الأدبي ويمتعنا من خلال الاستمتاع بجمالية اللغة والصور القوية التي تصور لنا الأحداث والمشاهد وكأننا نراها ولا نقرأها. وبما إن القاعدة الثابتة ا لتي على جميع الكتاب والأدباء التمسك بها تقضي بعدم الفصل بين عنصري الشكل و المضمون في أعمالنا الأدبية بأي حال من الأحوال ينبغي أن نعمل على دمج مبادئ المدرسة الشكلية بمبادئ المدرسة الأخلاقية لتكتمل الفائدة طبقا للمبدأ الأساس وهو أن

"الأدب يعلمنا ويمتعنا".

3- المدرسة الاجتماعية The Sociological School of Criticism

تعنى هذه المدرسة بدراسة الأحوال الاجتماعية التي قد يمر بها الكاتب في حياته الشخصية والمهنية والتي قد يعكسها في كتاباته الأدبية وكذلك الحقبة الزمنية التي عاش أو يعيش فيها وكذلك البيئة التي تأثر بها.

ولهذه المدرسة شعار يتناول هذه الأمور وهو الزمن والبيئة والكاتب نفسه :

TIME PLACE WRITER

وهكذا على الناقد الذي يرغب بتقويم العمل الأدبي لكاتب ما عليه إن يضع في حسبانه عامل الزمن والبيئة والحالة الاجتماعية والإنسانية التي تأثر بها الكاتب وعكسها في كتاباته

4- المدرسة السيكولوجية (النفسانية) The Psychological School of Criticism

على الناقد الذي ينتمي لهذه المدرسة إن يعنى بدراسة القضايا النفسانية السيكولوجية التي يركز عليها الكاتب في أعماله الأدبية من اجل توضيح حالات نفسية صعبة قد يمر بها القارئ كما مر بها هو(الكاتب) . وبهذه الطريقة يمكن التعرف على القيمة الأدبية للكتاب من خلال ردود أفعال القراء الذين قرأو ذلك الكتاب فهناك من يستأنس بل و يستمتع بما يتضمنه الكتاب نظرا لكون الحالة النفسية المعروضة في إحداث القصة تنطبق تماما مع الحالة النفسية التي يعاني منها القارئ. وهكذا يستطيع الناقد أن يصدر حكما صائبا على القيمة الأدبية للعمل الأدبي من خلال ردود أفعال القراء .

وهناك مذاهب ومدارس نقدية أخرى لا مجال لذكرها هنا.

نظريات نقدية متصارعة Conflicting Critical Theories

الصراعات موجودة منذ بدأ الخليقة وما يهمنا هنا هو الصراعات بين النظريات التي يطرحها الفلاسفة والكتاب والأدباء فكل واحد من هولاء يفخر بنظريته ويدعمها ويدافع عنها وهذا من حقه ولكن أيضا من حق الآخرين أن ينتقدوها ويبينوا ما هو صالح فيها وما هو غير صالح وعلى أصحاب النظريات أن لا ينزعجوا من الانتقادات التي توجه إليهم . وسمعت احد الأساتذة الأجلاء الذين تتلمذت على أيديهم الكريمة يقول: " لولا النقاد لهلك الكتاب" .

وقبل إن نخوض في هذه الصراعات ينبغي إن اذكر القارئ الكريم بثلاثة فلاسفة من أشهر الفلاسفة في الحضارات السابقة واللاحقة ألا وهم المعلم الأول سقراط الحكيم Socrates

وتلميذه المشهور أفلاطون Plato وحفيده (تلميذ تلميذه) اوروسطو Aristotle

إن هولاء الفلاسفة المشهورين يطلق عليهم عبارة الثلاثة The Greek Trio ولهم الفضل العظيم على الحضارة الإغريقية والحضارات التي تلتها ولا ينبغي للأديب أو الفيلسوف ان يسمي نفسه أديبا أو فيلسوفا ما لم يكن قد درس سيرة هولاء الفلاسفة الإغريق وتعلم منهم كما قال الفيلسوف هوراس Horace " إذا اردت إن تصبح كاتبا جيدا عليك إن تقرأ ما كتبه الكتاب الاغريق Greek Writers وان تحذو حذوهم وان لا تحاول الابتكار والابداع إن كنت مبتدءا فتفشل و ينطبق عليك المثل " تمخض الجبل فولد فأرا.

سقراط الحكيم Socrates

والآن لنبدأ بالمعلم الأول سقراط الحكيم :

لهذا الفيلسوف الفضل الكبير على الحضارات العالمية كافة . أعطانا هذا الفيلسوف دروسا عظيمة في حياته وإعطانا درسا أعظم قبل وفاته بيوم واحد. أن هذا الفيلسوف لم يؤلف كتابا في حياته ولكن كان أستاذا ومعلما بارعا وكان طلابه يدونون كل محاضراته التي أصبحت فيما بعد منارا للأجيال اللاحقة. وكان افلاطون و اوروسطو ابرز تلاميذه .

كان سقراط الحكيم يؤكد على تلاميذه بوجوب محاربة الفساد الذي كان مستشريا في زمانه وكان يحارب بل يحرم الربا والرشوة واستغلال المناصب وبيع وشراء العبيد وكان ينادي بتحريرهم كما كان يطالب بإصلاح القضاء واحترام القانون إلا إن الحكومة آنذاك توجست خيفة من النظريات الإصلاحية التي كان سقراط ينادي بها فاعتقلته السلطات وشكلت محكمة لمحاكمته ثم أدين وحكم عليه بالإعدام وهو بريء من التهمة التي نسبت إليه وخيروه إما أن يعدم شنقا علنا امام الناس أو أن يشرب السم ليموت في زنزانته دون حدوث أية ضجة احتراما لمكانته العلمية

المرموقة. وتعبيرا عن حبهم واحترامهم لمعلمهم الكبير ووفائهم له عزم طلابه على تهريبه من السجن وخلال زيارتهم له عرضوا عليه فكرة تهريبه من السجن وذلك بالاتفاق مع حراس السجن إلا إن سقراط لم يرحب بالفكرة بل غضب غضبا شديدا لكون طلابه يريدون معالجة الخطأ بخطأ افضع منه . وقال لهم بأنه يحترم قرار المحكمة حتى ولو كان قرارا جائرا كما ويحترم القانون ولا يريد للناس إن يحذو حذوه في مخالفة القوانين وهذا نابع من حبه لشعبه ووطنه .

وأصر سقراط على البقاء في السجن وفضل أن يموت على أن يرتكب جريمة كان ينهى عنها في محاضراته فتناول السم ومات وفي موته أعطى للناس جميعا درسا عظيما في احترام القانون واحترام قرار القضاء وعدم ارتكاب الجرائم من اجل تحقيق غايات معينة وكان ذلك تطبيقا لنظريته التي تقضي بعدم اللجوء إلى العنف لان العنف يولدا عنفا أعظم وكذلك عدم اللجوء إلى ارتكاب الخطيئة فما بنى على باطل فهو باطل ولا يصح الا الصحيح . وإن اللجوء إلى الفوضى والتمرد واستخدام الطرق غير المشروعة من اجل تحقيق غاية معينة يؤدي إلى الهلاك والدمار وهذا ما لم يكن سقراط أن يريده لبلده ومجتمعه. وهكذا أصبح سقراط ليس حكيما فحسب بل مثالا جيدا في حبه لشعبه ووطنه يحتذي به في كل زمان ومكان .

وهذا يجرنا إلى الاعتقاد بأن نظرية سقراط تدحض نظرية الكاتب الايطالي المشهور ميكيافيللي المذكورة في كتابه المشهور " الأمير " The Prince وهي

" الغاية تبرر ا لوسيلة." The End justifies the means

الصراع الفكري بين أفلاطون وتلميذه اوروسطو:

افلاطون Plato

يعتبر افلاطون (تلميذ سقراط) مفكرا وفيلسوفا وناقدا ومصلحا اجتماعيا ينادي بالفضيلة virtue وينبذ الرذيلة vice وقد ألف العديد من الكتب وكان أهمها "جمهورية أفلاطون"

The Republic الذي يبين فيه مبادئه وفلسفته تجاه الأدب بصورة عامة والشعر والشعراء بصورة خاصة وعلمنا بأنه يكره الشعراء والرسامين والنحاتين ويعتبرهم أعدائه لأنه يصفهم بالمقلدين imitators والكذابين لأنهم لا يتناولون الحقيقة في اعمالهم الفنية .

وكان يؤكد على ضرورة التمسك بالفكرة idea الاساسية للاشياء وليس تقليدها. ويعتبر الرسام الذي يرسم صورة سرير مثلا قد ابتعد عن الحقيقة مرتبة واحدة لانه رسم صورة تقلد فكرة السرير الاصلية واذا اعجب الشاعر بالسرير الذي رسمه الرسام ثم الف قصيدة شعرية اعجابا بالسرير يكون الشاعر قد ابتعد عن الحقيقة مرتبتين . ولهذا يؤكد افلاطون على اعتماد فكرة الشيء وليس ما يعبر عن الفكرة. وهكذا يرفض افلاطون فكرة التقليد أو المحاكاة رفضاً قاطعا.

اوروسطو Aristotle

اما اوروسطو تلميذ افلاطون يرى بان المحاكاة في حياة الإنسان و في الأدب بصورة عامة والشعر والمسرح بصورة خاصة أمر ضروري جدا لا يمكن تجاهله بأي حال من الأحوال.

كيف يتعلم الطفل الكلام إذا لم يقلد أمه وكيف يتعلم ا لطير الطيران إذا لم يرى أبويه يطيران أمامه وكيف يكون الابن صالحا إذا لم يقلد أباه في أعماله الصالحة هذا فيما يتعلق بالحياة بصورة عامة.

اما فيما يتعلق بالمسرح الذي كان من ابرز أشكال الأدب في زمن الإغريق فان التقليد imitation لابد منه لكي تصل الرسالة إلى الجمهور بالصورة الصحيحة . فلو فرضنا إن الكاتب المسرحي يريد إن ينبه الجمهور بان السرقة جريمة يعاقب عليها السارق بقطع اليد مثلا لابد من تكليف ممثلين يمثلون على خشبة المسرح كيف يقوم السارق بسرقة شيئ ثم يحكم عليه بقطع اليد لكي يرى الجمهور منظر قطع اليد والدماء تسيل . إن هذا المشهد التمثيلي يولد لدى الجمهور شيئين الشيء الأول هو شفقة الجمهور pity على السارق وهو يتألم اثناء قطع يده والشيء الثاني هو الخوف fear من إن يتعرض له من تسول له نفسه للقيام بالسرقة فيبتعد عن مثل هذا العمل وتسمى هذه العملية التطهير purgation وبهذه الطريقة أي عن طريق التمثيل والمحاكاة يكون الكاتب المسرحي قد أدى الرسالة المرجوة من الفن المبني على التقليد والمحاكاة؟

ورب سائل يسأل هل ان اوروسطو في نظريته هذه قد انتصر على أستاذه أفلاطون ؟ والجواب على هذا السؤال هو إن المسألة ليست مسألة غلبة أو انتصار اذ لا يوجد في النظريات الأدبية غالب ومغلوب بل هناك اجتهادات وقناعات ومن يدري ربما كان أفلاطون محقا في نظريته في زمانه ، وبمرر الزمن تتبدل النظريات وتتغير ويحل محلها نظريات جديدة وحتى النظريات الجديدة هي في الحقيقة مرشحة للتعديل أو التغيير وفقا لمتطلبات الزمن التي ظهرت فيه.

الاستنتاجات

Conclusion

لا توجد حضارة في العالم تخلو من الأدب والنقد الأدبي والنظريات المتعلقة بهما ولا يمكن بأي حال من الأحوال إن ننكر فضل الحضارة اليونانية على الحضارات التي تلتها كما لسقراط الحكيم وتلميذه أفلاطون وتلميذ تلميذه اوروسطو الفضل العظيم في تأسيس النقد الأدبي ومدارسه. وفي العصر الحديث للكاتب الانكليزي

آي أي ريجاردز الفضل في تأسيس المدرسة التي تعنى بنظريات ا لنقد الأدبي الحديث.

إن الحجج التي يستند ا ليها الكتاب والنقاد في نظرياتهم وادعاءاتهم قد تتصارع فيما بينها ولكن هذا لا يعني إن احدهم اخطأ في نظريته والآخر أصاب لان النظريات والأفكار والإبداعات تتغير وتتبدل تبعا لظروف العصر الذي عاشوا فيه . فمثلا نجد بأن الفيلسوف اليوناني الشهير أفلاطون عندما أعلن في كتابه جمهورية أفلاطون The Republic بأنه يكره الشعراء والرسامين والنحاتين لأنهم مقلدون كذابون يبتعدون عن الحقيقة ويتجاهلون فكرة الشيء ويلجئون إلى التقليد imitation في التعبير عن ذلك الشيء كان محقا في زمانه خاصة عندما اتهم أستاذه سقراط الحكيم بالخيانة العظمى وحكم عليه بالإعدام وهو برئ لأنه كان يطالب بمحاربة الفساد والفاسدين في عصره وكذلك نجد أن اوروسطو كان أيضا على حق عندما تناول في كتابه الشعر والشعراء Poetics بأن روح الفن والأدب بإشكاله المختلفة تستند على الخيال fiction وهذا بدوره يستند إلى التمثيل أو التقليد من اجل إيصال فكرة نبيلة ودروس أخلاقية للمجتمع . فبدون التمثيل أو التقليد لا يمكن للإنسان إن يتعلم ويتطور وبالتالي لا يوجد أدب يراد به تعليم الفرد وجعله يستمتع بفوائده ما لم يستند إلى التمثيل والتقليد ومن هنا اجمع العلماء والأدباء على إن الأدب يعلمنا ويمتعنا. وقد أصاب الشاعر الأديب ماثيو ارنولد عندما قال بان المجتمع المتحضر المتمدن ينتج أدبا راقيا والأدب الراقي ينتج مواطنين يشعرون بالمسؤولية تجاه وطنهم.

المراجع

آي أي ريجاردز مبادئ النقد الأدبي 1972
أحمد أمين – النقد الأدبي 1952

الدكتور بدوي طبانة – النقد الأدبي عند اليونان 1967
تايلورنم – الفلسفة اليونانية – مقدمة – 1958
ديفد ديتش - مناهج النقد الأدبي – 1967 (ترجمة د محمد يوسف نجم)
د علي عبد الواحد – الادب اليوناني القديم
د عبد الجبار المطلبي – مواقف في الادب والنقد – 1980
د عدنان عبدالله – History of Literary Criticism
تيري ايفلتن – مقدمة في النظرية الادبية – (ترجمة الاستاذ ابراهيم جاسم العلي)
D.J Enright – English Caritical Texts –

****